جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

التَّناصُّ القرآني في شعرِ أبي العتاهية، أشكاله الفنّيّة وأبعاده الدِّلاليّة

إبراهيم مصطفى محمّد الدهون
أستاذ مساعد
قسم اللّغة العربيّة وآدابها- كلية الآداب
الجامعة الهاشميّة
ibrahimdhoon@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ٢٠١٩/٠١/٠٧
تاريخ القبول للنشر: ٢٠١٩/٠٩/١٧

التَّناصُّ القرآني في شعرِ أبي العتاهية، أشكاله الفنّيّة وأبعاده الدِّلاليّة

إبراهيم مصطفى محمّد الدهون

الملخص:
تَمُورُ هذه الدِّراسةُ حول تناصات أبي العتاهية، وآليات الاستدعاء المقصود لتراكيب النّصّ القرآني ومضامينه في شعرِه، حيث بذلَ الشَّاعرُ العبَّاسيُّ جهداً مضنياً، واسترجاعاً ملحوظاً لكثيرٍ من مقابسات أبعادِ القرآن الكريم ومعانيه، سواء أكانتْ مباشرة أم بطرائق التَّلميح والإشارة والإيماء. وترمي الدِّراسةُ إلى الكشف عن الغاياتِ المبتغاة، والأهداف المرجوة من تماس الشَّاعر المباشر أو التَّقارب اللافت مع الخطابِ الرَّباني، وأثر ذلك التَّواصل في إغناءِ النَّصّ الشِّعريَ ومنحه طاقات فنّيّة، تؤدي دوراً إقناعيّاً عند المتلقي. ومن هذا القبيلِ يسعى الدَّارسُ إلى قراءةِ شعر أبي العتاهية من منظورٍ تناصي حديث، مجليّاً فيه ثقافة الشَّاعر الدِّينية، وإفادته من حمولاتِ القرآنَ الكريم المعرفيّة والفكريّة والدّلاليّة أيضاً. ولتحقيق أهدافِ الدِّراسة جعلها الدَّارسُ في مهادٍ نظري، ومبحثين اثنين، وخاتمة تضمّنَت أبرز النَّتائج. أمَّا المبحثان فهما: (١) التَّناص القرآني المباشر، (٢) التَّناص القرآني الإشاري.

الكلمات المفتاحية: التَّناص القرآني، أبو العتاهية، العصر العبَّاسيّ، الزّهد.

Quranic intertextuality in the poetry of Abu Al Ataheya

Ibrahim Mustafa Aldhoon

Abstract:
This study looks at the intertextuality of Abu Al Ataheya, and the mechanisms of the intended recalling of the compositions and contents of the Quran text within his poetry. The poet spent tremendous effort and a noticeable retrieving to many dimensions and meanings of the Holy Quran's text whether if it was direct, or using signals, and hints. This study looks to reveal the intentions and the goals of the poet's direct interaction or noticeable relativeness to the speech of God, where as a result to that communication, the poetic texts were indeed given an artistic energy that plays a convincing role to the reader.Moreover, referring to the above, the student looks at reading Abu Al Ataheya's poems from a modern intertextual perspectiverevealing the religious culture of the poet as well as the poet's benefits from the Quran's knowledge and meanings.
To achieve the objectives of the study, the researcher divided the research into preface and two Sub search:(١) Direct Quranic intertextuality, (٢) Quranic intertextuality by using signals, and hints.

Keywords: Quranic intertextuality Abu Al Ataheya; the Abbasid period; Asceticism.

المقدمة:

لمْ يحظَ مصطلحٌ من المصطلحات النَّقديّة الحديثة – عند النُّقاد الغرب والعرب- بالاهتمام والدِّراسة والبحث والتَّقصي بمثل ما حَظي به مصطلح التَّناص أو التَّناصيّة، حيثُ تعاورتْ عليه تواليف وبحوث وأطروحات جامعيَّة كثيرة يصعب إحصاؤها( )، فبعد أنْ كَانَ مفهوماً عَابراً يرد في نقودات ومقولات الباحثينَ أصبحَ ظاهرةً نقديّةً يوظّفها الشُّعراءُ والأدباءُ في نتاجاتهم الأدبيَّة، تعبيراً عن مثاقفتهم، واحتكاكهم الأدبيّ بالآخر، وإشارة صريحة منهم بالإطلاع على تأويلاته ومنجزاته الإبداعيّة. والتي أدّتْ مهمّةً إيجابيّةً تمثّلت بمنح نصوصهم آفاقاً أوسع ودلالات أرحب.

ولطالما عني النُّقادُ بالتَّناص تنظيراً واستجلاءً وتطبيقاً، فإنَّ الدَّارسَ لن يجترَّ ما خطّته يراعاتهم، وتفوهت به ألسنتهم في محاضرات وندوات ومؤتمرات، وإنّما سينطلقُ إلى الوقوف عند المصطلح لغة واصطلاحاً، ومن ثمَّ الدّخول إلى الجانب التَّطبيقي عند أبي العتاهية من خلال التَّناص القرآني، وتتبع أشكاله الفنّيّة، وملاحظة القيمة الممنوحة لنصوصه المتقاربة والمتواشجة مع الأثر القرآني، وكيف أعادَ الشَّاعرُ إنتاج النَّصّ الشِّعري برؤية تتساوق والخطاب الرّباني حيناً، وتمتح من معينه حيناً آخر. ويكفي دليلاً على ذلك ما في أشعاره من تعابير ولطائف كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم.

ولعلَّ دواعي دراسة التَّناص القرآني عند أبي العتاهية ترجع إلى كونها سمةً قارةً في أشعاره، فقد حمَّل نصوصَه تراكيب ومفردات ومضامين من النُّصوص الغائبة: (القرآنيّة) إلى درجة التَّماهي التي يصعبُ على المتلقي العادي الفصل بينهما، أو تحديد هويتهما. وكأنَّ أبا العتاهية يعيد توازنَ نفسه عبر القرآن الكريم ليمنح نصوصَه- الزّهديّة خاصّة- مصداقيةً عاليةً، انطلاقاً من مصداقية الخطاب القرآني؛ لأنَّ القرآنَ الكريمَ يُعدّ قمّةَ البيان العربي، ونموذجاً بلاغيّاً ومثالاً للفصاحة والأسلوب الرّصين، ودستوراً للحياة والوجود (الرواجبة، ٢٠١٢: ٩٢).

وتأتي أهميةُ الدِّراسة من أنَّها تتناول شاعراً بعينه، وخصوصاً أنّه اتّخذ الزّهدَ الدِّيني منحى في حياته بعد أنْ انغمسَ بحياة اللّهو والمجون والعربدة، فقدْ باتَ واضحاً من شعره التَّعالق الدِّيني والتَّفاعل الدَّاخلي مع البنية القرآنيّة التي شغلتْ مساحات واسعةً من نصوصه، وعدّت رافداً مهمّاً في تجربته الشِّعريّة، بحيثُ تعددتْ مستوياتها تآلفاً على سبيل التَّوافق مع النَّصِّ القرآني أو تبايناً أو تخالفاً على سبيل المخالفة الفكريّة أو المعارضة الدِّلاليّة، وتأسيساً على هذه الرؤية تباينت أساليب التَّناص من مستوى التَّناص المباشر إلى الإحالة الكلاميّة والثّقافيّة المضمرة (أبو هيف، ٢٠٠٤: ٢٣).

وقد آثرنا بعد قراءتنا لشعر أبي العتاهية أنْ نقصرَ بحثنا على مبحثين اثنين، الأوّل: التّناص المباشر مع آي القرآن الكريم، والثّاني: التّناص الإحالي أو الإشاري مع آي الذكر الحكيم، نحاول فيهما تتبع أشكال تناسل الخطاب الشِّعري داخليّاً وخارجيّاً، تصريحاً وتلميحاً، مع التّنبيه على قدسيّة الخطاب القرآني وخصوصيته.

التَّناص لغة:

يندرجُ التَّناصُ في لسان العرب تحت الجذر اللّغوي: (نَصَصَ). ونَصَّ الحديث يَنُصّه نَصّاً: رفعه. وأصل النَّصّ أقصى الشَّيء وغايته، ثمَّ سمي به ضرب من السَّير السَّريع. والنَّصّ: الإسناد إلى الرئيس الأكبر، ونصُّ الأمر: شدّته (ابن منظور،١٩٧٨: مادة: (نَصَصَ)) والتَّناص ازدحام وتجمع القوم (أحمد، ١٩٦٠: ٤٧٢). أي تقارب القوم واجتماعهم في مكان مَا لتبادل الرأي والمشورة.

ولعلّنا نلحظُ أنَّ ما يُستقى من الجذر اللّغوي مفاهيم تتقاطع مع المعنى الاصطلاحي لاحقاً، يقصد بها علاقة تبادل وبناء وهدم، جَاءتْ من توظيف الشَّاعر لمقبوسات متعددة في نصِّه الشِّعري (وهبة، ١٩٧٤: ٥٦٦).

التَّناص اصطلاحاً:

اتفقَ عددٌ غير قليل من الدَّارسينَ على أنَّ مصطلحَ التَّناص: (intertextuality) مصطلحٌ نقدي واسعٌ في الدِّلالة والاحتواء، يحمل في مضمونه كلَّ ما يتعلقُ باستدعاء النّصوص السَّابقة في النَّصِّ اللاحق، والذي يكشف ثمرةَ التَّفاعل والتّحولات في داخل بنية النَّصّ الأدبيّ. وهذا ما رسّخته جوليا كرستيفيا في نظرتها إلى النَّصِّ الشِّعري، إذْ عدّته ولادةً لنصوص سَابقة (أنجينيو، ١٩٨٧: ١٠٥)، كَانَ قدْ تحاورَ معها وتواشج بطريقة تواشجيّة. وتقولُ في تعريفها النَّصّ: "لوحة فسيفسائيّة من الاقتباسات، وكلّ نص هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى" (الغذامي، ١٩٨٥ :١٣١).

وأكثرَ النُّقاد سواء أكانوا عرباً أم غرباً من حديثهم وتفصيلهم عن التَّناص بصورة واضحة في نقوادتهم، ومنحوه بعداً إنتاجياً يكشفُ عن اهتمامهم الملحوظ وفهمهم العميق لأبعاده، فثمّةَ تصريحاتٌ وإشاراتٌ متعددةٌ من النَّاقد الفرنسي جيرار جينت إلى الاعتناء بالتَّناص وتطويره وتوسيع آفاقه، لذا،يقولُ عنه: "علاقة حضور متزامن بينَ نصين أو أكثر أو هو الحضور الفعلي لنصٍّ داخل نص آخر" (بنيس، ١٩٩٠: ١٨٣) مؤكداً صنوفه وأشكاله المتنوعة لحظة استثماره في النَّصِّ الأدبيّ، ومن أبرز أنماطه المباشر والإحالي أو ما يطلق عليه مسمّى الإشاري. وبعضهم قسّمه إلى التَّناص الواعي والتَّناص غير الواعي.

ومن هنا، جاءَ التَّناصُ مدخلاً أو منفذاً يلجُ من خلاله المتلقي لفهم وسبر مكونات ومدلولات أنساق النَّصّ الأدبيّ، حتّى يمكن أنْ نراه عَتبةً ندخل بها إلى عالم النَّصّ وجميع مستوياته وتشكيلاته اللّفظيّة والأسلوبيّة؛"لأنَّه عملية قائمة على التَّفاعل والتَّشارك بين النَّصوص، وهذا يقتضي الحفظ والمعرفة بالنّصوص السَّابقة، لأنَّ النَّصَّ يعتمدُ على تحويل النَّصوص السَّابقة وتمثيلها بنص موحد، يجمعُ بينَ الحاضر والغائب، وينسجُ بطريقة تتناسب وكلّ قارئ مبدع" (سليمان، ٢٠٠٥: ١٣).

وبإمعان النَّظر في تعريفات ووقفات الباحثينَ الحديثة لمصطلح التَّناص نجدْ أنَّ بؤرته المركزيّة تنبثق من نقطة التَّشابك والتَّداخل والتَّماهي أحياناً في إطارات غير محدّدة الانفتاح أوالانغلاق، لذلك ما دَامَ يؤدي بعداً تأثيرياً في المتلقي، فقد أغدقَ الشُّعراءُ عليه اهتماماً وتقديراً ملحوظين في التّوظيف والاستخدام، فأضحتْ

قصائدهم تضيء بأيقونات العلائق المختلفة، وأصبحَ النَّصُّ لديهم غنيّاً بدلالات ومعان ذات انتماءات متنوعة.

ومن جهة أخرى، يَلحظُ الباحثُ أنَّ فكرةَ نظرية التَّناص في النَّقدِ الغربي، موجودة في العقلية النّقديّة العربيّة القديمة، وإن تجلّت على شكل تقاطعات وشذرات نقديّة أولى أخذتْ تنداح لدن النُّقاد العرب الأوائل كالاقتباس والتَّضمين والتّلميح الذي جاء في كتاب: (تلخيص المفتاح) للخطيب القزويني، وباب السَّرقات في كتاب: (العمدة) لابن رشيق القيرواني، وإشارات أبي هلال العسكري في كتابه: (الصّناعتين) بحسن الأخذ ووقع الحافر على الحافر، بالإضافة إلى تأمّلات عبدالقاهر الجرجاني في كتابه: (أسرارالبلاغة)، الذي وقفَ عند قضية السّرقات الأدبيّة (شهاب، ٢٠١٦: ١٢).

وتأسيساً على ما سبق، نجد أنَّ المؤشرات الأولى التي تشيبت طرق نقاد العربيّة القدماء لمتعلقات التَّناص بمفهومه الحديث قد حضرتْ في نصوصهم النَّقديّة، وإنْ كانت تسميات مختلفة عمّا يتداوله نقاد الحاضر، إذ إننا نجد- مثلاً- لدى القزويني ما يوحي إلى دلالة التَّناص الاقتباسي وذلك بقوله: "أن يضمّنَ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث" (القزويني، ٢٠٠٢ :٢١٧) وأمثلة ذلك كثيرة في تصانيف العرب التّليدة.

ولمّا كانتْ لغةُ القرآن الكريم ترتقي إلى ما يفوق لغة البشر، وتسمو بالنَّظم سمّواً لا مثيل له، اتبعت الدِّراسة منهجاً تحليليّاً استقرائياً للوقوف على النّصوص والتَّراكيب القرآنيّة إضافة إلى المعاني والمضامين التي وظّفها أبو العتاهية في شعره، والتي أدّتْ دوراً عميقاً، وتركتْ أثراً فنّيّاً في بنية النَّصِّ الشعري، وهو ما حدا بالشَّاعر إلى أنْ يحتذي القرآن الكريم أسلوباً ولفظاً، حيثُ وصلَ أحياناً عديدة إلى درجة الانصهار أو الاندماج معه.

التَّناصُّ القرآني في شعر أبي العتاهية:

إنَّ المتتبعَ لمقتبل حياة أبي العتاهية يلحظ أنّه مارسَ صنوفَ حياة اللهو والمجون والخلاعة جميعها، وانغمس في فنون الحياة اللاهية، وشاركَ مجّانها وندماءها بملذاتهم وانحرافاتهم إلى درجة العربدة. فكما أحبَّ بعد ذلك جارية تدعى: (عُتبة) من جواري المهدي، وأخذ يهيم بها، ويتغنّى باسمها طويلاً، حيث ظلَّ تائهاً منحرفاً، عابثاً يحمل زاملة المخنثين حتّى سنة (١٨٠هـ)، ثمَّ غادرَ حياةَ العبث وحالةَ الأهواء، ومطارحة الشَّهوات إلى منهج الزَّاهد العابد، وقد أفاضَ الباحثونَ تعليلاً وتفسيراً لهذا التَّحول المصاحب لموقفه في الزُّهد والتَّنسك، فعلى سبيل المثال يذهب المسعودي إلى أنَّ هذا التَّحولَ جاءَ على أثر رفض عُتبة الزَّواج منه،إذْ لَبسَ الصَّوفَ، وتزّهد وتوقف عن قول الغزل والتَّشبيب بالنِّساء(المسعودي، ١٩٤٥: ٢٩).

وأرجع قسم ثانٍ؛ مذهبَ الزّهد عند أبي العتاهية إلى أنّه اتَّخذه وسيلةً للتكسب، بينما ربطت فرقةٌ ثالثةٌ ذلك بنشأته الوضيعة، ولا سيما معيشته الفقيرة، وسوء حاله، حيث قصدَ أنْ يكفّرَ عن ذنوبه ومساوئه في المرحلة الأولى من حياته، ويمحو ما التصقَ بها من سهام العار والتَّهتك الفاسق، ومن هنا أحسَّ بأنَّ نعيمَ الدُّنيا زائلٌ لا محالة، وأنَّه سُرعان ما يتلاشى ويتبخر، وبناءً على هذه الرؤى لم يعدِ الشَّاعرُ زاهداً فقط، وإنَّما أصبحَ يفكر في تلك العزلة المنشودة، يسطّر فيها أبهى ما تتوق إليه النَّفس من معاني المناجاة والاعتبار والتّذلل لله (شرف الدين، ١٩٨٧: ٨٨-٨٩).

وقد لا نجانب الصَّواب إذا قلنا: إنَّ أبا العتاهية رأى في القرآن الكريم مثالاً فريداً وأنموذجاً باهراً في الاحتذاء والنَّهل من ينابيعه الثرّة؛ لأثره النَّاجع في النَّفوس، وارتفاع مستواه البلاغي، فبعد أنْ كَانَ همُّه عشقَ الذَّات والعبّ من ماديات الحياة تحوّل إلى تمثّل القيم الفُضلى، وتضاعفتْ لديه الدَّعوة إلى استحضار مضامين وأفكار وأحداث القرآن العذبة، واستثمارها استثماراً حقيقياً في سياق تأمّلاته بقضية الموت خصوصاً. "ولأنَّ القرآنَ يشكّل مصدراً إلهامياً للذَّات الشَّاعرة، تتفيأ ظلال لغته، وتتأمّل في حضرة الكلام الإلهي، وتنهل من ينابيعه المختلفة، وتتزود ما شاء الله لها من إعجازه وتنوع أساليبه، واختلاف إشاراته ووفرة مخاطباته، وتستمدّ الذَّات المبدعة شاعريتها من شاعريّة النَّصّ القرآني"(عمارة، ٢٠٠١: ١٤٧)؛ وجدنا أشعار أبي العتاهية الزّهديّة لا تفارق رؤى القرآن ولا تغادر مضامينه؛ فثمّة نصوصٌ للشاعر يجد المتلقي فيها نفسه أمام محاكاة مباشرة، وتغلغل منظّم لنسيج الخطاب الرّباني، وقد تهيأتْ هذه التّفاعليَّة عن طريق التَّقاطع بين ما تبثّه نصوص الشَّاعر، وما هو موجود في سياق الآيات القرآنيّة.

وإنَّ لجوءَ الشَّاعر إلى التَّقاطع مع الخطاب القرآني واستدعاء تراكيبه ومفرداته، وإقامة حوار مع نسيجه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقداسته، ومكانته الدِّينيّة في نفوس المسلمينَ، وقيمته اللّغويّة بوصفه رافداً من روافد الإبداع الفنّيّ لما فيه من لذاذة وإغناء للنّصِّ وتثريته.

ولمَّا كانت الدِّراسة تركّز على النّصوص القرآنيّة وخيوطه الدِّلاليّة المنداحة في جسد النَّصِّ الشِّعري عبر تقنيات التَّناص الحديثة، فإنَّ الدَّارسَ سيقفُ عند شكلين اثنين تاليين، يجلي فيهما عوالم النَّصّ الدَّاخليّة، ويمارس فيهما دوراً تفاعليّاً حتّى يستطيعَ العبورَ إلى أعماقه، ويكشف عن أمور لم يعلنها الشَّاعرُ صراحةً.

١- التّناص القرآني المباشر.

يُطلقُ هذا على التَّماس المباشرمع آي الذِّكر الحكيم، سواء أكانَ هذا التَّماس تركيباً أم مفردة أم شخصية قرآنيّة بطريقة مباشرة، فيورده الشَّاعرُ بنصِّه الأصلي، ويتّخذه محجّة يسترشدُ به، ويضيء نصَّه الشِّعري لتدعيم أفكاره وترسيخها في نفس المتلقي. وهو ما دعا أبا العتاهية أنْ يفرَّ إلى نصوص القرآن الكريم، ويستقي منها ما له قدرة على الإقناع والتَّأثير؛ لتفردها تشكيلاً ومعنى، فضلاً عن تنوع أساليب التَّعبير التي لها تأثيراتها البالغة في النّفوس.

وبالعودة إلى أشعار أبي العتاهية ندرك أنَّها تتشابكُ كثيراً مع النّصِّ القرآني، وبخاصّة في إطار الحديث عن قضية وحدانية الله، وتفرّده بالرّبوبية، وإلوهيته، ومن هنا يمكن عدّ شعره صورةً صَادقةً لإيمانه بالله وتوحيده، بل إنَّه صاحبُ نبوة إسلاميّة قويّة تتّجه إلى معانيه وأساليبه؛ لذا لجأ إلى الاستفادة من تراكيب النَّصّ الرّباني ليكشف تصوراته ورؤاه الدّاخليّة، فقالَ: (أبو العتاهية،

١٩٦٥: ١٧٢) (من السريع)

أَلا إلى اللّهِ تَصِيْرُ الأُمورْ

ما أَنتِ، يا دُنْيَايَ، إلّا غُرُورْ

إنَّ المتمعنَ في تركيبِ النَّصِّ الشِّعري: (ألا إلى الله تصير الأمـور...) يرى أنَّ الشَّاعرَ يوظّف فيه الآية القرآنية: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾، (الشورى: ٥٣)، توظيفاً مباشراً دون تحوير أو تغيير؛ ليؤكد أنَّ مرجعَ الأمر ومآله إلى خالق الأكوان ومصرّفها، وهذا ما قامَ عليه الشَّاعرُ، فهو يخاطب الإنسانَ خطابَ العقل لا القلب، وَفْقاً لطبيعةِ الموضوع؛ لذا نلمسُ أنَّ التَّعالقَ بين النَّصِّ الشِّعري والقرآن الكريم شكّل إضاءةً كبيرةً لرؤيةِ الشَّاعر وإعادة تشكيلها، وأسهمَ في منح نصّه سمواً وارتقاءً عظيمين، وأكسبه ثراءً دلالياً؛ لأنَّ النَّصَّ القرآني في القصيدةِ ينقل المعنى من المستوى المألوف إلى مستوى دلالي مكثّف، ويحوّل التَّلقي من عمليةِ قراءة وفهم إلى مهارةِ التَّفكيك والرَّبط والاستنتاج (الضمور، ٢٠١٣: ٤٦٩).

ويتّضحُ من النّموذجِ السَّابقِ أنَّ الشَّاعرَ استطاعَ أنْ يقيمَ اتفاقاً واسعاً بين النَّصين، وبذلك جاءت الألفاظ المستمدّة من الآيةِ القرآنيّةِ عضواً حيّاً في جسم النَّصّ الشِّعري، وبالتالي أدّتْ حقلاً دلالياً جديداً لا سيما في تحقيق التَّرابط اللّفظي للنّصِّ من جانب، وكانتْ سبباً لتنامي الصّورة ومنحها طاقات فنّيّة أكثر تأثيراً في المتلقي من جانب آخر.

ويعدُّ النَّصُّ القرآني بوصفه نصاً مرجعياً خصباً في دلالاته ومتنوعاً في قضاياه، ركيزةً أساسيّةً، ودعامةً قويّة يتكئ عليها أبو العتاهية كثيراً في أشعاره، فليس غريباً أنْ يحيلنا إلى آي من القرآنِ الكريم عند حديثه عن قضيةِ الرِّزق في قوله: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٨) (من السريع)

وَيُرْزَقُ الإنْسَانُ مِنْ حَيْثُ لاَ

يَرْجُو، وأحياناً يَضَلُّ الرَّجَا

فنلاحظ أنَّ الشَّاعرَ يتعالق مع قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا {٢} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا {٣}﴾ (الطلاق: ٢_٣) لتأكيدِ مسألةِ الرزق، واقتران تلك المسألة بالله. وبهذا الفهم يتبيّن أنَّ الشَّاعرَ يحرصُ في النّصِّ الوليد على استحضارِ النَّصّ الغائب ليعبّرَ عن موقفٍ إيجابي، وهو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في كلِّ شيء حتّى الأرزاق، والاتكال عليه بعد التّقوى والإيمان. والمدقّق في النَّصِّ الشِّعري السَّابق يستطيع أنْ يكشفَ الصّلة الوشيجة للبنية النَّصيّة مع خيوطِ الخطاب القرآني؛ هذا فضلاً عن مدى الإفادةِ العميقةِ منه. وتتمظهر هذه الإفادة في رفدِ ألفاظه بحمولات دلاليّة عديدة؛ ذلك لأنّه أهم وظيفة يقدّمها التَّناص للنّصِّ الوليد هي الوظيفة الجماليّة؛ بحيث يصبحُ النّصُّ المرجعي" رديفاً جمالياً للنّصِّ الحاضر وجزءاً من تشكّل معناه" (أبو هشهش، ١٩٩٨: ١٧٠).

واستطاعَ أبو العتاهية أنْ ينفتحَ على عوالم القرآن الكريم، فاتّجه إليه اتّجاهاً إيجابياً، إذ أخذَ يمتحُ من نميرِه الفيّاض، ويستّظلُّ أطايبه اليانعة. فزُهدُ الشَّاعر وانصرافه عن العبثيّةِ والاستهتارِ جعلاه يستثمرُ ألفاظه وأجزاءه وما فيها من طاقاتٍ صوتيّةٍ وإمدادات تعبيريّة عميقة؛ ليجسّد مواقفه وآراءه إزاء تكبر الإنسان وغروره إذا استغنى، وامتلأ مالاً وهوى، فقالَ: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٩) (من الكامل)

المَرْءُ آفَتُهُ هَوَى الدُّنْيَا

وَالمَرْءُ يَطْغَى كُلَّمَا اِستَغْنَى (٢)

إنَّها دعوةٌ قويّةٌ، وتوجيه صَارم من الشَّاعرِ إلى الإنسانِ التّائه الغافل، الذي أضَاعَ حياتَه في الطغيانِ والتَّكبر والغرور على بني جلدته لحظة الارتواء والاكتفاء، ولعلَّ خطابَ الشَّاعرِ هنا يجلي الاستدعاء الواضح لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى {٦} أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى {٧}﴾ (العلق: ٦_٧). ولو قابلنا النَّصَّ الشِّعري بالخطابِ القرآني سنجد أنَّ النَّصّين يتقاطعان تقاطعاً بيناً؛ لأنَّ كثرةَ تعلق الإنسان بالدُّنيا تجعله قاسي القلب، متسلطاً على إخوانه البشر، "وعليه وَقَفَ أبو العتاهية أمامَ الدُّنيا طويلاً، تكاد تكون تلك الوقفة في كلِّ قصيدةٍ، ولمّا كانَ الأمرُ على هذه الحالِ حذّر الإنسانَ من عشقها والحرص عليها"(غريب، ١٩٨٥: ٨٤).

لقد مثّلتْ حالة الرّفض والنّفور في النّصِّ المرجعي عاملاً حاسماً في تشكيلِ رؤية أبي العتاهية، ولعلَّ قوامَ النَّصّ الشِّعري يظهر قلق الشَّاعر وعداءه لدلالات الفساد والنِّفاق والانحلال لاسيما تغطرس الإنسان وتعاليه على بني جلدته، من هنا نجده يتماهي مع النَّصِّ المرجعي كونه أكثرَ كثافةً، ويغني نصّه الحالي ويجعله في حالةِ توالد وتواصل (المراشدة، ٢٠٠٦: ١١٣).

احتلَّ القرآنُ الكريمُ مكانةً باذخةً في أشعارِ أبي العتاهية، وظلَّ نصّاً مفتوحاً لأفكاره ورؤاه، مثيراً لكثيرٍ من الأسئلةِ والاستدلالات، ومؤيداً لمواقفه ونظراته، ولعلَّ وقفاتِ التّأمّل والإبصار في صفاتِ الله عزَّ وجل شاهدٌ راسخٌ على التّقاطعِ المباشرِ مع آي القرآن الكريم، إذْ يقولُ: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٢١٢) (من الطويل)

تَبَارَكَ مَنْ لاَ يَمْلِكُ المُلْكَ غَيْرُهُ

مَتَى تَنْقَضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ

إنَّ المتبصّرَ في الخطابِ الشِّعري السّابق يلحظ أنَّ الشَّاعرَ يستحضر قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك: ١) ليكثّف دلالات القدرة الهائلة لله عزّ وجل، علاوة على ذلك يظهر احتماءه بالذاتِ الإلهية، كونها تحمل أبعاد الإحصاء الكلي الدّقيق والشُّمولي لجزئيات الكون وموجوداته. فالنّصُّ الشِّعري يتداخل مع النّصِّ القرآني، ويندمج معه اندماجاً إيجابيّاً غير أنَّ الشَّاعرَ تلاعب ببعض المفردات تحويراً وتغييراً إظهاراً منه لبراعته في الابتكارِ والتّجديد، وتوجيه المعنى الدّيني نحو مقصده، في نسقٍ لُغويّ جديد، فيه روح الشَّاعر وخبرته (حسنين، ٢٠٠٩: ٢٢٢).

وتجدرُ الإشارة إلى أنَّ أبا العتاهية ينقل مادةَ التّناص بشكلها المباشر، كأنَّهَا طَرَفٌ من أطرافِ نصّه؛ ليمنحه خصوصيّةَ الإنتاج الدِّلالي، بالإضافةِ إلى وضعِ المتلقي أمام التّحولات الخصبة التي أصابتْ معيشته ودفعته نحو ديمومةِ الأملِ والسّعادةِ مدة إقامته في دوحةِ التّعبد والتّنسك.

ونزعَ أبو العتاهية يسترفدُ من القرآنِ الكريمِ صياغاتِه ومعانيه

ليعضّد أفكارَه ورؤاه في تمجيدِ الله والدّعوة إلى نبذِ الدُّنيا، حيثُ صوّرها مخيفةً مرعبةً. ويشير إلى أنَّ الرَّحيلَ واقعٌ لا محالة على الإنسانِ حتّى لا يزهو عجباً بثرائه وماله، فنسمعه مخاطباً بني البشر، فيقول: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٢٢٨) (من الكامل)

لله عَاقِبَةُ الأُمورِ جَميعَا
أَخْشَى التَّفَرُّقَ أنْ يَكُونَ سَريعَا

يحيلنا الشّاعرُ في نصّه السَّابقِ بصورةٍ مباشرةٍ وواضحةٍ إلى قوله تعالى: ﴿بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾ (الرعد: ٣١)؛ ليعضّد طبيعةَ الحالة التي يعالجها، ويكشف فجائعية الدّنيا وزوالها، فلأجل هذا يحرّض البشرَ على التوبةِ، والإنابة إلى الله تعالى خوفاً من حالةِ القهرِ والإقفار، فالله هو الأزلي الأبدي في الكون، وغيره هالك مقهور، سواء أكانَ مكاناً أم إنساناً أم حيواناً.

وممّا يلفتُ النَّظر أنَّ انفتاحيةَ أبي العتاهية على النّصِّ القرآني وتعاليمه في عرضِ صور الخراب والخواء ومعاناة الموت ليس إلا محاولة تنفيرٍ من الدُّنيا وانتهاب ملذاتها من جهة، وإقرار أنَّ القرآنَ الكريمَ يقدّم حقيقةً بالغةَ الأهمية لا مجال للشّك فيها،"وهي أنَّ اللهَ عادلٌ لا يظلم أحداً، وبذا ينتفي وجود كيد لدهرٍ أو زمانٍ؛ لأنَّ ذلك نتاج خيال لا أساس له أو أصل، إذ إنَّ مراحلَ الحياةِ الإنسانيّة كلّها تحت السّيطرة المطلقة لإرادة الله وقدرته" (أبو رحمة، ٢٠١٢: ٩٨).

ولم يقتصرِ الشّاعرُ في تناصاته المباشرة على صفاتِ الخالق- عزّ وجلّ- ومفهوم التّوحيد وقلقه من الدُّنيا فحسب، وإنّما نوّع بين ذلك على نحو ما نلحظه في تجلي أزمة الموت حتّى احتلّتْ حيزاً كبيراً من تفكيره (الكفراوي، ١٩٧٢: ٦٥). ونالتْ مساحةً واسعةً من أشعارِه، ويتمظهر ذلك بتوظيف إحياء النَّفوس الميتة، بعد أنْ كانتْ عظامهم رميماً، كما في قوله: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٣٤٣) (من السريع)

لا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ بِدارِ البِلَى
وَاللهُ بَعْدَ المَوْتِ يُحيي العِظَامَ يَشْبَعُ

يؤدي التَّناصُ المباشر في النَّصِّ الشِّعري السَّابق مع القرآنِ دوراً فنّيّاً بارزاً في فاعليةِ الكلمة ودورها في نسيجِ النَّصِّ الجديد وتماسكه، الذي نشأ بسبب التَّمازج الواضح بين النَّصّين. فقد استعانَ الشّاعرُ بقوله تعالى: ﴿يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس: ٣١)، الذي يوافق رؤيته توافقاً كلياً حيث يُسقط على نصّه كلَّ أبعاد التّجربة الدّينيّة، المتمثلة بحتميةِ الموت وعجز الإنسان عن دفعها، الأمرُ الذي دفع الشّاعر إلى التّطرق إلى قضيةِ البعثِ وإحياء الموت والانتقال إلى الحياةِ الحقيقية؛ لأنّها خالدة وباقية، متخلصاً من قبضةِ الدُّنيا وصفادها.

ويعيدنا أبو العتاهية مرّةً أخرى إلى خطابِ الذَّات؛ ليرثيها رثاءً حارّاً. وليس ذلك غريباً كون الدُّنيا عنده أشبه بالأحلامِ الأضغاث، لا قيمة لها، ولا بقاء لبهجتها، حتّى لذتها مرهونةً بالشّقاءِ والفناء. لهذا السّبب نراه مشغولاً بقصّة يوسف -عليه السَّلام- في قوله: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٣٤٥) (من البسيط)

يَا نَفْسُ! مَا هُوَ إلاّ صَبْرُ أيّام
كَأنَّ لَذّتَهَا أضْغَاثُ أحْلام(٣)

يَا نَفْسُ! مَا لِيَ لا أنْفكُّ مِنْ طَمَعٍ
طَرْفِي عَلَيْهِ سَرِيعٌ، طَامِحٌ، سَامِ

يَا نَفْسُ! كونِي، عَنِ الدُّنيا، مُبَعَّدَةً،
وَخَلِّفِيْهَا، فإنَّ الخَيْرَ قُدّامي

يَا نَفْسُ! ما الذُّخرُ إلاّ ما انْتَفَعْتُ به
في القَبْرِ، يَوْمَ يَكونُ الدَّفْنُ إكْرامي

إنَّ مَنْ يعمّق النَّظرَ في الشَّطرِ الأوّل لحياةِ أبي العتاهية يلمسْ حالةَ الضّياع والتيه وعدم الاتزانِ والاستقرار، لا سيما فترة المجون والتّخنث والعبّ من لذاتها، ويبدو أنَّ سياقَ الطيش ذلك ولّد في نفسه الشّعور بالرد المعاكس، فوصل إلى نتيجةٍ مؤداها أنَّ الحياةَ على اختلاف ضروب متعها وأمجادها ومطامعها ليس إلا حالةً من الحلم الزائف وصورةً من صور الانتكاس النَّفسي. وهو لذلك يقابلُ بين مَصيرِ اللّذات الدُّنيويّة وردَّ الملأ الذين سألهم العزيز في قصّة يوسف- عليه السّلام- عن رؤياه، فكانَ جوابُهم: ﴿قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ﴾ (يوسف: ٤٤).

ولمّا أدركَ أبو العتاهية هشاشةَ ووهنَ الحياة البشريّة، ومأساةَ الوجود الإنسانيّ، وأيقنَ أنَّ الخلودَ مستحيلٌ، وأنَّ الموتَ يرصدُ النَّاسَ في غدوهم ورواحهم، وأنَّ الفناءَ هو المصيرُ الذي لا مصير سواه (رومية، ١٩٩٦: ٢٩٣). راحَ يتراءى له النَّصّ القرآني في سورةِ يوسف؛ ليؤكد ما يرمي إليه، بأنَّ الدُّنيا تماثل كلاماً متداخلاً مضطرباً ملتبساً يصعبُ على الإنسانِ تفسيره لما فيه من تخاليط وأباطيل.

ومن الاستثمارات المثيرة للنّصِّ القرآني المباشر تلك المدائح التي هنأ فيها الشّاعرُ هارونَ الرّشيد في نصره على الرّوم، وهذا ما تجلّى في قوله: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٦٧٥) (من الطويل)

وَأَنْتَ أَميرُ المُؤمِنينَ فَتى التُّقى
نَشَرْتَ، مِنَ الإحْسَانِ، مَا كَانَ مَطْوِيّا(٤)

قَضَى اللهُ أَنْ يَبقى لِهارونَ مُلْكُهُ
وَكَانَ قَضاءُ اللهِ في الخَلْقِ مَقْضِيّا

يحشدُ الشّاعرُ ألفاظاً مخصوصةً من القرآنِ الكريم في نسق عجز بيته الثّاني: (وَكانَ قَضاءُ اللهِ في الخَلقِ مَقضيّا) من خلال استدعائه الخطاب الرّباني: ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: ٢١). وبهذه الآلية يتبدّى التّكامل الدّلالي والتّناغمُ الصّوتي ضمن المفردات والتّراكيب على امتداد النّسيج الشِّعري.

واستناداً إلى ما تقدّم، فقد أدّتْ بنية الآية القرآنيّة دوراً تفاعلياً في سيرورةِ دلالات النّصّ الشِّعري، حيثُ تنامت مقاصد الشّاعر في الثناء على هارون الرّشيد بوصفه مثالاً للعطاءِ والتّقوى والنّورِ والإخلاص والعدلِ في الملكِ بما يتناسب وانبثاقات الخطاب الرّباني التي تعمقُ فكرةَ أنَّ عوالمَ الخلق وحيواتهم خاضعةٌ لإرادة الله وسيطرته. وواضح أنَّ إيرادَ الآيةِ القرآنيّة كانَ معلّقاً بذكرِ صفات

المدوح والفخر بشمائله، وفضائله، وأنّها تمثّل ركيزةً إنتاجيّةً في أطواء النّصّ الشّعري.

وللنّصّ القرآني ثراؤه واتساعُهُ، فقد وجدَ أبو العتاهية فيه مصدراً غنيّاً يفصح من خلاله عمّا يحتاجه من قضايا من غير حاجةٍ إلى شرحٍ أو تفصيل، فهو مادةٌ راسخةٌ في ذاكرته، بكلِّ ما يحويه من أحداثٍ ومواقفَ، ناهيك عن التّكثيف الدّلالي والامتلاء الأسلوبي الذين يتميز بهما الخطابُ القرآني (البادي، ٢٠٠٩: ٤١). وقد استفادَ الشّاعرُ منه كثيراً للكشفِ عن تناقضات البشر، وحالة الغفلة عندهم، مذكراً إيّاهم بحسابِ الله، وذلك على النحو التالي: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٣٠٤) (من الطويل)

فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ

بِمَا كَانَ أَوْصَى المُرْسَلِيْنَ، وَأَرْسَلا

يحاولُ الشّاعرُ – في الخطابِ الشّعري- أنْ يستقطرَ معاني التّحفيز والإثارة حتّى ينبه الإنسانيّةَ قاطبةً، ويرفدها بموتيفاتِ الاستعداد والتّوثب لحسابِ الله. وبالنظرِ إلى صدرِ البيت الشّعري نلاحظ أنّه مبنيّ على التلاحم مع قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ (إبراهيم: ٤٧)؛ استشعاراً منه عظم الأمانة الملقاة على عاتقِ الرّسلِ في تبليغ رسالات ربّهم إلى عباده. ولعلَّ قوام نصّ أبي العتاهية جاءَ مستنداً إلى مضامين وصياغات النّصّ القرآني لنقل رؤيته، وعرض معاناته وانفعالاته الملتهبة من خلالِ تقنية التّناص المباشر والمكشوف (عبيدات، ٢٠٠٧: ٨٤).

وقد يأتي توظيفُ النّصِّ القرآني عند أبي العتاهية ذمّاً وقدحاً لبعض سلوكيات البشر في القيلِ والقال، فموقفه الرافض لأحاديث النّاس الباطلة، وعيوبهم ومثالبهم قاده إلى أنْ يمتاحَ كثيراً من المعاني والتّراكيب القرآنيّة التي احتوتها نصوصُهُ الشّعريّة، وعمّقت رؤاه في الزّهدِ والتّعبّد، ومن هذه السّياقاتِ التي كانَ لها حضورٌ مركزي يذكرنا قائلاً: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٢٩١) (من السريع)

أَصْبَحَ هَذَا النَّاسُ قالاً وَقِيلْ

فَالمُسْتَعانُ اللّهُ، صَبْرٌ جَمِيلْ

لم يجدْ أبو العتاهية مخرجاً من هذه الضّائقة النّفسيّة إزاء ما لاحظته عيناه من مشاهدِ الفساد والسّوء، بالإضافةِ إلى انهيارِ القيم الأخلاقيّة عند البشر، إلا أنْ يستلهمَ النَّصَّ المرجعي لقوله تعالى على لسانِ يعقوب: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ ﴾ (يوسف: ١٨)، الكاشف عن مؤامرة إخوة (الجبر، ٢٠٠٣: ٦٨) يوسف-عليه السّلام- معبّراً عن حالةِ العداوةِ والخصومةِ التي استشرتْ بين النّاس.

ومع نجاحِ أبي العتاهية باستدعائه الآية الاّ أنّه استطاعَ إعادة توظيف ما استوحاه من النّصِّ القرآني، وتقديمه بطريقةٍ بارعة، تثبت جدارته بالتّعامل الحسن مع النّصِّ القرآني، ومقدرته الفنّيّة على إدخاله في نصّه الشّعري، بحيث باتَ نسيجاً متيناً من قصيدته (عيّاش، ٣٢:٢٠١٠)، فحاكى النّسق القرآنيّ بتقديمه تركيب: (الله المستعان) على تركيبِ: (صبر جميل)؛ ليستحضرَ أبعاد الشّقاء الإنسانيّ؛ نتيجة ابتعاد روح الإنسان الرفيع عن معنويات الحبّ والخيرِ والنقاء والإشراق، ولا سيما إذا كانَ المجتمعُ الذي يخالطه مجتمعاً تدميرياً انتهاكياً ظالماً مأساوياً.

وهكذا، بعد الرّجوع إلى نصوص أبي العتاهية المتناصة مع القرآن الكريم، يظهر أنّها جَاءتْ عبارةً عن نواةٍ لغويّةٍ فكريّة قُلِّبتْ في صورٍ مختلفةٍ ومتبيانةِ التّأثر والتّأثيرِ، ومحكومة بعلاقاتٍ ضروريةٍ ومتداعيةٍ (مفتاح، ١٩٨٧: ٩٤)، تقاطعتْ كثيراً بصورةٍ مباشرة مع آي القرآن الكريم، ضمن روابط ودعائم قويّة.

٢- التّناص القرآني الإشاري.

هو تضمين النّصّ الشّعري آية قرآنيّة، أو بنيّة تركيبيّة، استمدّها الشّاعرُ من آي القرآن الكريم من غير أنْ يلتزم بلفظها أو تركيبها، ثمَّ يوظّفها توظيفاً إبداعياً داخل النّصّ الشّعري، بما يتوافق وتجربته الفنّيّة أو مواقفه النّفسيّة (العاني، ٢٠٠٢: ٢٢).

وهذا يدعونا إلى القول: إنَّ الشّاعرَ لا يَعْمدُ فيه إلى التّعامل مع النَّصِّ القرآنيِّ تعاملاً صريحاً أو مباشراً، بل تغني الإشارةُ عن النَّصِّ، وتَشي إليه. ومُؤدّى ذلكَ "أنْ يَسْتلهمَ الشّاعرُ لفظةً أو لفظتينِ لتوظيفهما في انزياحٍ لُغويٍّ جديدٍ، يتبدّى منهما براعته ومقدرته من إيجازِ التّعبيرِ وتكثيفه، ومن قدرته الفنِّيَّة على تقليصِ مسافة وصولِ النَّصِّ المقتبس منه إلى المتلقي والإحاطة بمشاعرِه" (عبشي، ٢٠٠٥: ٢١٢).

وما يثيرُ الانتباه حقاً في أشعارِ أبي العتاهية الكمُّ الهائلُ من الاستحضاراتِ القرآنيّةِ في موضوعِ الموت والزّهدِ وذمِّ الدُّنيا، وهذا ما دعاه إلى توظيفِ تلك الحمولاتِ والمدلولاتِ والمنظوراتِ في نصوصه، مراوحاً ما بينَ الاقتباس والتَّضمين، والتّلميحِ والإشارةِ إلى ألفاظٍ وتراكيبَ وجملٍ وسياقاتٍ قرآنيَّة، ولقد استطاعَ الشّاعرُ أنْ يتلاحمَ ويتضافرَ معَ تلك العناصرِ والمكونات المتميّزة؛ ليفجّرَ طاقاتٍ في الكلمات والتّراكيب الشّعريّة، ويُكسبَ لغته تفرّداً في الدِّلالةِ والثّراء. وثَمَّة مقاطعُ ونصوصٌ شعريَّةٌ للشاعرِ تمتلئُ بالتّناصِّ الإشاريِّ مع الآياتِ والتّراكيبِ القرآنيَّةِ، وتشكّل منتجاً خلّاقاً في النَّصِّ المنقولةِ إليه، فحين نقرأُ النَّصَّ التالي: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٢) (من الطويل)

لعَمْرُكَ، ما الدُّنيا بدارِ بَقَاءِ؛

كَفَاكَ بِدَارِ المَوْتِ دَارَ فَنَاءِ

نلحظ أنّ أبا العتاهية ينطلقُ نحو الحياةِ الدّنيويّة الزائلة، معلناً اندثارها، ورحيل من عليها، فهذه المصيبة أرهقت عقله، ولعلَّ الحديثَ عنها في أشعارِه يشير صراحةً إلى الخوفِ من الموتِ وقدرة سلطانه، إذْ إنَّ الخوفَ من الموتِ يعني الالتزامَ بكلِّ ما يجعلُ الإنسان لائقاً بلقاء الله تعالى.

وانطلاقاً من أسلوبيّةِ القسم: (لعمرك) عند أبي العتاهية، يمكن الإشارة إلى سيطرةِ فكرة: (الموت) على عقليته، ولكنّه مع ذلك لا يكفّ عن إشاعة الأمل والتّفاؤل، مع علمه بأنَّ هذا التفاؤلَ سَرعانَ ما تخبو جذوته، ويحلّ مكانه سحابة حزن مبشرة بقدوم الموت؛ لأنَّ النّهايةَ ستؤولُ إلى الخراب والاندثار، فقالَ: (كَفَاكَ بدارِ المَوْتِ دارَ فَنَاءِ). ولا يخفى على القارئ أنَّ النّسيجَ اللّغوي

لعجزِ البيتِ السَّابقِ، يستدعي قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٦).

ويلحظ تواشج دلالات هذه الآية مع مفردات البيتِ الشّعري، مكونة تراكيبَ وصيغاً جديدة، حيثُ يتجه الشَّاعرُ إلى الإنسانِ، طالباً منه أنْ يحذرَ من الموتِ والدّنيا معاً، وأن يشكّلَ له هذا عبرة وموعظة بالابتعادِ عن متاهات الدُّنيا وشهواتها، وفي سبيلِ هذا، فقد عمدَ إلى استحضارِ المفردة: (فناء)، لتتقارب بالتّناصِ مع الدّلالةِ التي حققتها كلمة: "فانٍ" في سياقها القرآني، حيث إنّه يعدّها بنيةً لإنتاجِ أسرار التفرّق والتشتت في كلا السّياقين. وتعطينا هذه المقبوسات والإيماءات القرآنيّة في الشِّعرِ غايةً مقصودةً، وهي إضاءةُ عتمة النّصّ، ومنحه عاملاً مهمّاً وأبعاداً عميقةً في الرّؤيةِ الكلية للوجودِ.

وقد أولى أبو العتاهية النّصوص القرآنيّة اهتماماً بالغاً، وانفتحَ على عوالمها وكنوزها، مستثمراً صورها البلاغيّة ومعانيها المكثّفة وملفوظاتها المتينة؛ "لما يمنحه القرآن الكريم من رونقٍ وعطاءٍ متجددين للفكرِ والشّعور، بالإضافةِ إلى تعلق ثقافة شعراء الزّهدِ به تأثراً وفهماً واقتباساً" (جدوع، ١٩٥٣: ١٣٤)، كونه يعالجُ قضايا تتطابق وطبيعة الصّراع المحتدم على الأرضِ بين قوى الحقِّ والجهاد، وقوى الباطل والاحتلال. ذلك أنَّ استحضارَ الخطاب الدّيني في الخطابِ الشّعري، أكسبه إنتاجيّةً جديدةً وتميزاً فنّيّاً في الأسلوبِ، انطلاقاً من مصداقيةِ الخطابِ القرآني، وقداسته وإعجازه (حمدان، ٢٠٠٦: ٨٦).

وإذا تركنا الأطارَ النَّسقي التّركيبي في تآلفِ الشَّاعرِ مع النَّصِّ القرآني، وتعمقنا في تتبعِ دلالاتِ الفنّيات والجزئيات القرآنيّة الجديدة، نلحظ أنَّ النَّصَّ القرآني يشكّل في الشِّعرِ الزّهدي محوراً أساسيّاً ونسيجاً فنّيّاً متكاملاً (نظمي، ٢٠٠٤: ٧٨). ويأتي المقطعُ الشِّعري التّالي دليلاً دامغاً على استثماره؛ لأنَّه يبصّره بمبادئ الإسلام، ويدفعه إلى معالي القيم، وتحليه بمكارمِ الأخلاقِ، وهذا مَا تبدّى في قوله: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٢-٣) (من الطويل)

فلا تَعْشَقِ الدُّنْيا، أُخَيَّ، فإنَّمَا
يُرَى عَاشِقُ الدُّنْيَا بِجُهْدِ بَلاَءِ(٥)

حَلاَوَتُهَا مَمْزُوجَةٌ بِمَرَارةٍ
ورَاحَتُهَا مَمْزُوجَةٌ بِعَنَاءِ

فَلا تَمْشِ يَوْمَاً فِي ثِيابِ مَخِيلَةٍ
فإنَّكَ مِنْ طِيْنٍ، خُلِقْتَ، ومَاءِ

لَقَلَّ امرُؤٌ تَلْقَاهُ للهِ شَاكِراً
وَقَلَّ امرؤٌ يَرْضَى لَهُ بِقَضَاءِ

يحيلنا أبو العتاهية في الأبياتِ السّابقةِ إلى الحضورِ المشرق للخطابِ القرآني، واستلهام مفرداته بما يناسب رؤيته، إذْ نراه يتناص بقوله: (فَلا تَمش يَوْماً في ثيابِ مَخيلَة...) تناصّاً إشارياً مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان:١٨)؛ ليؤكدَ أنَّ الكبرَ والخيلاء خلُقانِ من أخلاقِ إبليس، فمن أرادهما فليعلم أنّهُ يتخلّقُ بأخلاقِ الشّياطين، وأنّهُ لَم يتخلّق بأخلاقِ الملائكةِ المكرمين الذين أطاعوا ربَّهم فوقعوا سَاجدينَ.

وممّا يسترعي النَّظر أنَّ الشَّاعرَ يتخذ من الإحالةِ القرآنيّةِ منفذاً تعبيريّاً لانزعاجهِ من الإنسانِ الذي يفعل فعل إبليس، ويمشي مشية الاختيال والتّبختر، والعُجب والاستكبار، ولا يأخذ عِبرةً من الموتِ، وينسى أنّه خُلِقَ من طينٍ وماءٍ، لقوله: (فإنَّكَ من طينٍ خلقتَ ومَاءِ).

وفي سياقٍ متصلٍ بقضية خلقِ الإنسانِ من طينٍ يأخذ أبو العتاهية تلكَ الجزيئةَ القرآنيّة لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ (الصافات: ١١)؛ مشيراً إلى المادةِ الأولى التي خُلقوا منها، ومؤكّداً ضعفَ الإنسانِ وعجزه؛ لأنَّ ما يُصنع من الطينِ غير موصوفٍ بالصّلابةِ والقوة. لذلك جاءَ التّناصُ الإشاري قائماً على المماثلةِ والاستجابةِ لما وردَ في القرآنِ الكريم، فكانَ مساعداً للشَّاعرِ على توضيحِ الفكرة التي يتحدثُ عنها ويعطيها المبررَ والشّاهدَ على وجودها، إيماناً منه بأنَّ كلامَ القرآنِ الكريم يعطي مصداقيةً وقبولاً لما يريد أنْ ينقله للقارئ من أفكارٍ ومعانٍ متجددةٍ (المجدلاوي، ٢٠١٠: ١١١).

وكماً كَانَ أبو العتاهية متأثراً بجزئيات الملفوظات القرآنيّة، فإنَّه متأثر بطريقِ الامتصاص لمضامينها، حيثُ وظّفها توظيفاً رائعاً في ثنايا نصوصه الشّعريّة، متخذاً منها وسيلةً للكشفِ عن أغراضه النّفسيّة، لذا يطلبُ من أخيه الإنسانِ التّقوى، والطهرَ والنّقاءَ حتّى تصفو حياتُه، وتكتملَ، فيقول: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٢٨٢) (من الكامل)

وَإذَا اتّقَى اللهَ امْرُؤٌ، وَأطاعَهُ
فَتَراهُ بَيْنَ مَكَارِمٍ وَمَعَالِ

ولمّا عادَ أبو العتاهية إلى رشده، ارتبطَ ارتباطاً وثيقاً بالقرآنِ الكريم، ورأى فيه طاقةً كامنةً، تمدّ نصَّه بسحرِ البلاغةِ والبيان، وإذا ما نظرنا نظرةً فاحصةً إلى أبنيةِ النَّصِّ وأنساقهِ اللّغويّةِ إضافة إلى المعنى، وجدناه يسترفدُ مكوناته من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق:٢)، دعوة مباشرة إلى طاعة الله وقطع حبال التّمسك بالدّنيا وحطامها؛ لأنَّ السّعادةَ والنّجاةَ في تقواه.

وقد يبدو أنَّ توظيفَ النّصِّ القرآني السَّابق جَاءَ عبر تقنية التَّناص الموافق، أو ما يطلق عليه اسم تناص التآلف (مجاهد، ١٩٩٨: ٣٥٩)، إذْ عمد الشَّاعرُ إلى لغةِ التَّوافق بين نوعينِ من الخطابِ هما: الخطاب القرآني والخطاب الشِّعري، ولعلَّ ذلك يجعل الثّاني ارتداداً للأوّل وصدى لأبعادهِ الحقيقيّة بحثاً عن منابعِ الضّوءِ، والقيمِ الجماليّة.

ويقفُ أبو العتاهية على عيشِ الإنسان، ويبيّن عناصرَالبهجةِ والزّينةِ والطيبِ فيه، هدفُهُ في ذلك أنْ يدلَ البشريّةَ على مسبباتِ السَّعادة والفرحِ، علاوة على تنبيهه إلى مواطنِ القصور التي تعور

البشريّة إزاء شكرها وتسبيحها الله، فقال: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٢٤٤) (من الكامل)

فَلَئِنْ شَكَرْتَ لَتَشْكُرَنَّ لمُنْعِم،
وَلَئِنْ كَفَرْتَ لَتَكْفُرَنَّ عَظِيمَا

فَتَبَارَكَ اللهُ الذي هُوَ لَمْ يَزَلْ
مَلكاً، بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، عَلِيمَا

يعكسُ الشَّاعرُ في النَّصِّ رؤيتَه الدَّاخلية، وتوجهه المنهجي في الحياة، فالألفاظُ تكشف موقفه الدَّقيق من الله، إذ يحفّز الإنسانَ على شكرِه لنعمه السَّابغة، وفضائله الوفيرة؛ فما عليه إلا أنْ يرفعَ حمده وتقواه وشكواه إليه لا إلى سواه، ففي يده كشف المضرّة والبلوى فضلاً عن علمه بأسرار البشرِ وأحوالهم (غريب، ١٩٨٥: ١١٧). وبالنظر إلى بنيةِ النَّصّ اللّفظيّة نجد أنَّ كلَّ بيت يمثّل آيةً قرآنيّةً مستقلةً بذاتها، فقوله: (فَلَئِنْ شَكَرْتَ لَتَشْكُرَنَّ لمُنعم...) يعاضده مَا جَاءَ في الخطابِ الرَّباني: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧). وقوله: (فتباركَ اللهُ الذي هوَ لمْ يزلْ...) يسانده النّصّ القرآني: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك: ١).

والجدير بالذكر: إنَّ الشَّاعرَ يخلق توازناً دلالياً خاصّاً بين تركيبةِ نصّه الشِّعري الذي يمثل الالتجاء إلى الله، ومفردات القرآن الكريم التي تمجّده، كونه نصيراً ومعيناً ومدبّراً، وهو الرَّجاءُ والأملُ في الحياة. ومن خلال ذلك التَّوازن يتوضّح لنا الدّور الكبير للأثر القرآني غير المباشر في نمو النَّصّ الشِّعري فنّيّاً، وازدياد انسجامه وفاعليته، "ومع هذا الأثرِ نلمسُ ما يؤديه التَّوازي الدِّلالي إلى خلق نسقٍ منظم من العلاقاتِ في خطوط أفقيّةٍ ورأسيةٍ للنّصّ، عن طريقِ تضافره مع توازي الصّيغة؛ لأنَّ التَّوازي الدِّلالي يسهم إلى حدٍ ما في خَلق انسجام وتلاؤم في الصّيغة" (شرتح، ٢٠١١: ١٩٦). وينفتح أبو العتاهيةِ على نسيج النّصِّ القرآني: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤). موظّفاً آياته ودلالاتها لخدمةِ غرضه الرئيس، وتقوية ما يذهبُ إليه في ذمّ الدنيا، استهزاءً وتهكماً من هؤلاءِ المتفانيين بالرّغائب والأمنيات؛ اعتقاداً منهم أنّها دارُ بقاءٍ واستقرار، فبينما الإنسان في غبطةٍ وتأمّلٍ يحلّ عليه الفناء، إذْ يقول: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٤) (من الطويل)

غداً تَخْرَبُ الدُّنْيَا، وَيَذْهَبُ أَهْلُهَا
جَمِيعاً، وَتُطْوَى أَرْضُهَا وَسَمَاؤهَا

ويُظهر النَّصُّ الشِّعري براعةَ الشَّاعر الفائقة في التّشابكِ والانسجام مع مضامينِ النّصّ القرآني، فلمّا جعلَ الدُّنيا تخرب وتتبعثر، والأرض والسَّماء يُطويان ككتابٍ أُغلقتْ صفحاته، أحالنا إلى قولِه تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾، كي يضعَ الإنسانَ أمامَ حقيقة عظيمة لا مناص منها، تبدّتْ بزوال العالم وخسفه، من هنا كانَ على البشرِ أنْ يفكروا بعواقبها، وألاّ يغفلوا عن آخرتها، وألاّ يظلّوا منكبين عليها، تتصارعهم وتتقاذفهم في ملاذّها وغواياتها. والملاحظ- ممّا سلف- أنَّ "خيالاتٍ نفسيّة انطبعتْ في روحِ الشَّاعر، وسيطرتْ على ذهنه، حتّى غدا يصوّر الحدثَ من زاويةِ نفسه لا غير، فاستدعى من القرآن الكريم جزءاً ليتمَّ معه إحالة المتلقي إليه، كلوحةٍ فسيفسائيّةٍ، تخدمُ غرضَه الشِّعري والنَّفسي معاً" (غروس، ٢٠١٢: ٣٨).

نَقَمَ الشَّاعرُ على الأوضاع الأخلاقيّةِ للمجتمع العبّاسيّ، وبيّنَ تفشي الكثير من المعايبِ السّلوكية فيه، وما لحق النّاس من انتشارِ للآفات اللّسانيةِ المنبوذة (خليف، ١٩٦٨: ٤٩٧)، ولا سيما الغيبةُ والتّفاخرُ والتّعالي على أساسِ الأحساب والأنساب، ومن ذلك قوله: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٨) (من السريع)

لا يَفْخَرِ النَّاسُ بأنْسَابِهِمْ
فإِنَّمَا النَّاسُ تُرابٌ وَمَا(٦)

يطلُ الشّاعرُ على القرآن الكريم من باب نبذ مسألة التّباين أو التّمايز القائمة على خصوصيةِ النّسبِ أو الحسب أو الجاه، التي تشكلُ توهماً أو نظاماً عند بعضهم، يحرمهم خيراً ومكاناً مهمين، ومثل هذه الرؤية عند الشّاعرِ تشكل استعداءً على مركوزاتِ الخطاب الرباني: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣). ويبدو أنَّ التّعاطي مع أشكالِ التَّعبيرِ القرآني جاءتْ عن طريقِ امتصاصِ المعنى لتصبَّ في معنى البيتِ الشِّعري.

ونجد أبا العتاهية يقفُ على حسِّ التّعالي الذي مثّل مساحةً كبيرةً في شعرِه، فما كَانَ منه إلّا أنْ هَاجمَ من يفعله، ويتسم به، لذلك بيّنت كلماته: (أحسابهم، والنّاس، وتراب، وما) استدعاءً واضحاً للخطابِ الرّباني السَّابق وإظهاراً لحالةِ الرَّفض الشَّديدة للأفعالِ المقيتة، التي سَادتْ بين أبناءِ العصر العبَّاسيّ، نحو: افتخار الإنسان وزهوه بنسبه من جهة، وذمّه وتحقيره شأن الآخرين من جهةٍ ثانية (إسماعيل، ١٩٩٤: ٨٤).

ولم يكتف الشَّاعرُ بتلك الأمثلة، بل تزايدتْ عنده إشارات الرّيبة والاشمئزاز لقبيح ما كانَ ينبعث من بعضِ طبقات المجتمع حينما أخذتْ تتبجح على غيرها من فئاتِ البشرِ، وليس هناك سبب أو مسوّغ لهذا الفخرِ أو التّباين، فقال: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ١٥٢) (من السريع)

مَا أَحْمَقَ الإنسَانَ فِي فَخْرِهِ
وَهوَ غداً فِي حُفْرَةٍ يُقْبَرُ(٧)

مَا بَالُ مَنْ أوّلُهُ نُطْفَةٌ
وَجِيْفَةٌ آخِرُهُ، يَفْخَرُ

يرتكزُ التّنسيقُ الدّلالي للبيتينِ الشّعريين السّابقين على التّضافرِ العميق مع مغزى الدّلالة للخطابِ الرّباني: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (النحل: ٤) (٨)؛ لتدل على النَّفسِ الإنسانيّةِ الجاحدة التي تنكر حقيقة خلقها، وتكوّنها الأوّلَ، المتمثّل بالنطفة الضّعيفة. فذكرُ التّركيب الشِّعري: (أوّله نطفة) اكتسب طابعاً قرآنيّاً، ومنحَ الشَّاعرَ فرصةَ التَّعبيرِ عن التَّغيراتِ التي أصابتِ البشر، والتي تتمثل بمدلولاتِ التّناحر والتّباغض،

وسياقات التّوتر والاغتراب إزاء عوالم التَّفاخر. "وما من شكّ في أنَّ العلاقةَ بين النَّصِّ القرآني والنَّصِّ الشِّعري قائمةٌ على المساعدة في إظهار جميع جوانب الفكرة التي تحدّثَ عنها الشَّاعرُ، وكأنَّه وثيقةٌ لهذه القضية من خلال أُطُر الألفاظ القرآنيّة المنبثقة داخل النَّصّ الشِّعري" (عطاء، ٢٠٠٧: ١٤).

وينتقلُ أبو العتاهية في أشعاره -أحياناً- إلى الحديث عن اليوم الآخر، يذكّرنا به، ويعلن بعض تفصيلاته، مشيراً إلى أنَّ الإنسانَ المؤمنَ يتوجه لأخذ كتابه بيمنه فَرِحاً مسروراً، بينما الكافر يدنو ليمسك كتابَه بشماله في حالة انتكاسة مخيفة، تسيطرُ عليه حين يشرعُ بقراءته، كما في قوله: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٤١) (من المديد)

لَيْتَ شِعْرِي بِيَمِيْنِيَ أُعْطَى
أَمْ شِمَالِي، عِنْدَ ذَاكَ الكِتابَا(٩)

سَامِحِ النَّاسَ، فَإِنّي أَراهُمْ
أَصْبَحُوا إِلّا قَلِيْلاً ذِئَابَا

افْشِ مَعْرُوفَكَ فيهم، وَأَكْثِرْ
ثُمَّ لا تَبْغِ عَلَيْهِ ثَوَابَا

وَاسأَلِ اللهَ، إِذا خِفتَ فَقْراً،
فَهْوَ يُعْطِيْكَ العَطَايا الرِّغَابَا

فإذا جئنا إلى قراءة واعية لنصِّ أبي العتاهية الشِّعري، فإننا نجده يتقاطع بصدر بيته الأوّل: (ليت شعري بيمني أعطى) مع النَّصّ المرجعي القرآني: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ﴾ (الحاقة: ١٩). وهو ذات التّقاطع يحدثُ من جديد في عجز البيت: (أم شمالي عند ذاك الكتابا) انبثاقاً من قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ﴾ (الحاقة: ٢٥). ومن الملحوظ أنَّ تدقيقَ النَّظر في الاستدعاء الإشاري لتراكيب القرآن الكريم الحادث يكشفُ عن استثمار الشَّاعر المتمرّس للألفاظ التي تدعم صورة يوم القيامة، وما يحتويه من مشاهد مَهيبة، تتكاثفُ فيها سياقات الضّعف والانكفاء على الذَّات.

نالت الجنّةُ رتبةً عليّةً، ومنزلةً سنيّةً لدن أبي العتاهية، فكانتْ صورتُها من الصور النَّاصعة الأصيلة، بما تميزتْ به، من طاقة مشرقة، ورافد إيماني لمن تسنّم ذروة العبادة والتّقوى، على أننا لا نغفل صورةَ الجحيم في شعره، حيثُ البأسُ والمناظرُ البشعةُ، وملامح الذلّ والهزيمة. وانسجاماً مع تلكَ التّوجهات يستفيض في هذا الموضوع بما يحفّز على طاعة الله، والتّوجه إليه وحده، ويدل على ذلك قوله: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٢٨٣) (من الكامل)

يَومٌ يُنَادَى فيهِ كُلُّ مُضَلِّلٍ
بِمُقَطَّعاتِ النَّارِ والأَغْلالِ(١٠)

للمُتَقِيْنَ هُنَاكَ نُزْلُ كَرَامَةٍ
عَلَتِ الوُجُوهَ بنَضْرَةٍ وَجَمَالِ

زُمرٌ أَضَاءتْ لِلحِسَابِ وُجُوهُهَا
فَلَهَا بَرِيقٌ عِنْدَهُ وَتَلالي

إنَّ مظاهرَ الوعي والاتّساع المحفوظي للقرآن الكريم، ومقاربة العلوم الدّينيّة في نفس الشَّاعر أسهم بشكل ملموس في انفتاح نصّه الشِّعري -السَّابق - على منبع ثريّ وغنيّ – القرآن الكريم- بوصفه مصدراً قوياً، في إمداد النَّصوص بدفقات جديدة، وموارد معرفيّة فيّاضة. ويستبان ذلك من خلال قوله: (للمتقينَ هناكَ نزلُ كرامة...)، الذي نراه قد استدعى فيه معاني ودلالات الخطاب الرباني: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٣). ليحثّ الإنسانَ على الطاعة ونبذ المعصية، ولا سيما في إبرازه وجوه المتقين التَّائقين لرؤية وجه الحق، إذْ كانتْ تتلألأ وتضيء جمالاً ونضارةً في قوله: (عَلَتِ الوُجُوهَ بنَضرَةٍ، وَجَمالِ). وهذا دليلٌ على أنّه امتاحَ معانيه من معين القرآن العذب، وتعالق مع آي الذكر الحكيم مرّة ثانية، فأومأ لنا باللّفظ القرآني دون أنْ يذكره صراحةً من قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢).

وليسَ من ريبٍ في أنَّ التّناصَ عند أبي العتاهية أدّى دوراً مهماً في إغناء نصّه الشعري، وربّما يكون قد تجاوز هذا إلى أنّه فتح للمتلقي مشاركةً روحيةً كانتْ أكثر إيجابيّةً، ويتراءى الأمر جليّاً في التفاتاته الذكيّة إلى القوة الإعجازية للقرآن الكريم، التي "تغني النّصَّ جمالياً، وتكسبه بعداً انفعالياً، مبعثه الإحساس الجمالي بالنّصِّ، والقرآن الكريم، بكلِّ طاقاته البلاغيّة، يتضمن صوراً ناجزةً، يتستطيع الشَّاعرُ أنْ يعثرَ عليها؛ لينقلها من موقعها الأصلي إلى موقعٍ جديدٍ، يتناسب مع دلالتها؛ فتصبح جزءاً من النَّصِّ الشّعري، تنسجم معه، وتتآلف مع عناصره فتضحي عنصراً حيوياً فعّالاً، يتميّز بقوة تأثيره، فيتفوق على باقي عناصر النَّصّ" (أبو شرار، ٢٠٠٧: ١٠٨).

ولمّا كانتْ نفس أبي العتاهية تثابر على الطاعات والعبادات ما استطاعتْ إليه من عزيمةٍ وصبرٍ، فإنّا نراه يقرنُ الزّكاةَ بالصّلاة، وليس أدل على ذلك قوله: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٥٩) (من الكامل)

وَإِذَا اتّسَعْتَ بِرِزْقِ رَبِّكَ فاجْعَلَنْ
مِنْهُ الأَجَلَّ لأَوْجُهِ الصَّدَقَاتِ

فِي الأَقْرَبِيْنَ، وَفِي الأَبَاعِدِ تَارَةً
إِنَّ الزَّكَاةَ قَرِيْنَةُ الصَّلَوَاتِ

ويستطيعُ المُتأمّلُ أنْ يكشفَ بجلاء استدعاء الشَّاعر البيّن لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٢) (١١). حيثُ أكّدَ أنَّ الصَّلاةَ والزَّكاةَ ركنانِ عظيمان، وركيزتانِ أساسيتانِ في عبادة الله، وطاعة أمره. وحديث أبي العتاهية عن الصَّلاة والزّكاة والحثِّ على فعلهما، أشبه ما يكونُ بدغدغة مشاعر المسلم الوجدانيّة، وهي تذكير له بالصّحوة والنّهوض من غفلته في سراديب الدّنيا والتّعلق بحطامها الفاني. ومع عدم التزام الشَّاعر بالتّوظيف المباشر للنّصّ القرآني، فقد

وظّفه توظيفاً متآزراً، ملتقياً بما ورد فيه من مفاهيم ومضمونات ظاهرة بطريقةٍ امتصاصيةٍ، استلهمَ فيها أفكاره ومغزاه (حلبي، ٢٠٠٧: ١٥)، ثمّ قامَ بإعادة صياغته من جديدٍ بما يتوافق وهدفه الرّوحي ورؤاه الوجدانية؛ للوصول إلى واحة التّقوى، ومحراب الصّفاء الإيماني، لذلك يرحلُ الشّاعرُ فينا إلى عالمي الزّكاة والصّلاة باحثاً فيهما عن منابعِ النّور والجلال؛ بحسبان الزكاة مطهرة للنفس، والصّلاة عمود الدّين المتين.

وقد ذَمَّ أبو العتاهية كثيراً أخلاقيات النّاس الفاسدة، مثل القول بلا عمل، وقد خاطبَ الإنسانَ وذكّرهُ في سخريةٍ واضحةٍ، في معرض حديثه عن واقعِ المتبجحين بالتّنظير والكلام، حيثُ اتخذوا من وعودهم الكاذبة وعَنترياتهم المزعومة ذَريعةً لتسويغ أفعالهم المشبوهة، إذْ يقول: (أبو العتاهية، ١٩٦٥: ٢٨٥) (من السريع)

يَا ذَا الذي يَقْرَأُ في كُتْبِه
مَا قَدْ نَهَى اللهُ وَلا يَعْمَلُ

قَدْ بَيّنَ الرَّحْمَنُ مَقْتَ الَّذي
يَأمُرُ بِالحَقِّ ولا يَفْعَلُ

مَنْ كَانَ لا تُشْبِهُ أفْعَالُهُ
أقْوالَهُ، فصَمْتُهُ أجْمَلُ

يلاحظُ قارئ الأبيات السَّابقة أنَّ أبا العتاهية لا يفارقه النَّصّ القرآني فيها فحسب، بل تفصح أيضاً عن إضاءات قرآنيّة يجدها منتشرةً على مساحاتِ النَّصِّ بأكمله، ومن الشّواهد على اعتنائه باللّفظ القرآني واستيعابه لبنيته الدّلاليةِ ما ورد على لسانه في البيتِ الثّاني: (قد بينَ الرحمن مقتَ الذي .....) وهنا استلهام واضح في كشف وشائج الصّلة مع الآية القرآنيّة: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٣). وكذا وجدناه يلتفت إلى هذا المقصودِ مرّة ثانية في البيتِ الثّالث، فقد جاءَ مؤكداً لغةَ الصَّمت حينما لا تتطابق أفعال الإنسان مع أقواله، على أنَّ جميع هذه المقاصد لبست ثوب النَّفي، نحو: (وَلا يَعْمَلُ، ولا يفعلُ، لا تُشْبِهُ) انسجاماً مع المادة المثليةِ في القرآن الكريم: (مَا لَا تَفْعَلُونَ). وقد تحسن الإشارة في هذا المقام، إلى أنَّ أبا العتاهية يتعايش كثيراً مع النّصوص القرآنيّة، ويتقاطع مع معانيها ودلالاتها المختلفة (حياة، ٢٠١٦: ٨)؛ طلباً لدعم حالته الشّعوريّة وتجربته الإيمانيّة الجديدة، فاستدعاءُ القرآن الكريم وخيوطه الباهرة اتّصال للحاضر في الماضي، وإذكاء للنصوص الشّعريّة، كما كانَ وثبةً عنيفةً في تكثيف بؤرة الشّحنات النّوارنيّة في نفس المتلقي. ولعلَّ هذا الوعي العميقَ بجماليةِ النّصّ القرآني قادَ الشّاعر إلى أنْ يرتكزَ عليه في مساحاتٍ وافرةٍ من قصائده، فقد وجدَ فيه مَسفعاً للحديث عن زهدياته وأهدافه الرّوحية حيناً، وملمحاً إثرائياً إبداعياً حيناً آخر. وعلى هذا، لئن شكلَّ القرآنُ الكريمُ مصدراً ثقافياً، ومساراً دلالياً أفقياً جديداً في أنساقِ أبي العتاهية الشّعريّة، استطاعَ من خلالها أنْ يمنحَ القارئ فهماً أعمق، وتأويلاً أكثر رحابةً، فإنَّه لا يقل أهمية في إنضاجِ معجمه اللّغوي، ولا غرو في ذلك فقد انمازَ ببليغِ العبارات وفصيحِ الأساليب.

ومهما يكن من أمر، فقد احتمى أبو العتاهية بالنّصِّ القرآني، لفظاً وأسلوباً ومعنىً، على أننا بعد مراجعةٍ واعيةٍ لديوانه، وإنعام النَّظر في أشعاره وصلنا إلى أنَّ فيها لمحات إيمانيّة، وكشفاً سابراً لأهم ملامح النواحي الوجدانيّة والعقليّة والفكريّة، استقاها من نصوصٍ قرآنيّة جميعاً. لذلك لا نندهشُ عندما تطالعنا في شعرهِ مظاهرَ التّوحيد الإسلاميّة والنَّظرات الصّائبة في الكونِ والحياةِ والنّاس والدّين والأخلاق بصبغها القوي الفعّال (الدّش، ١٩٦٨: ٢٣٣-٢٦١).

وعلى هذا النَّحو، نستطيعُ أنْ نستدلَ على مجموعةٍ من النتائج، كشفتْ عنها الدّراسةُ من خلالِ صدق تفاعل الشّاعر واتكائه على القرآن الكريم في تفسيرِ كثيرٍ من القضايا، اتّسعت على يدهِ اتّساعاً كبيراً، نجدها في النّقاط الآتية:

١. استثمرَ الشّاعرُ كثيراً من النّصوص القرآنيّة في قصائده سواء أكانت بطريقةٍ مباشرةٍ أم بطريقةٍ إشاريّةٍ، وجعلها جزءاً أساسيّاً في أشعاره، ولا سيما في زهدياته وتطرقه لقضيتي الموت وذمّ الدّنيا.
٢. وجد أبو العتاهية في القرآن الكريم متنفساً كبيراً؛ فامتاحَ من مضامينه وأسراره وأفكاره، فضلاً عن تراكيبه ومفرداته؛ للتعبير عن إيمانياته الصّادقة ومكارم أخلاقه الحميدة.
٣. برعَ أبو العتاهية من خلال التّناص القرآني - بحيث أصبحَ نواةً لنصوصه- في تصوير المنظومة الأخلاقيّة لمجتمعه آنذاك، فقدْ فتحَ له فضاؤه عالماً يغذّي شاعريته، ويمكّنه من البوحِ بما تجيش به نفسهُ الإنسانيّةُ بالخلجاتِ السَّارة من جهةٍ، حينما تتصل بالقيم والفضائل، ومن جهة ثانية بحالةِ الحزن التي تنتج من إحساسه بالقهرِ والانتكاس في مواجهةِ خطايا وآثام أبناء مجتمعه. وما يلفت الانتباه، ضمن استدعائه للنّصِّ القرآني أنّه يملكُ آليات متعددة، لكنّه ينتقي منها ما يلائم بنية ومضمون نصّه الشّعري، وبذلك تحدث دوراً فعّالاً في السِّياق الشّعري، بما تفرضه بدلالاتها السّخيّة وسحرها الآخاذ، التي تتعانق وتتلاحم حتّى تشكلَ معنىً جامعاً لطيفاً.
٤. كشفَ تعاملُ أبي العتاهية مَعَ القرآنِ الكريم ثقافتَه الدّينية الواضحة؛ فكثيراً ما يلجأ إلى الاستعانةِ به كمعجم غني بالمفردات والتّراكيب الرّصينة، فهو النبعُ الذي يستقصي منه الدّلالة، ولعلّ أظهر ما يؤكد ذلك مختاراته الشّعريّة عن أهوالِ الموت وأركان الإيمان والإسلام.
٥. كانَ أبو العتاهية وثيقَ الصّلةِ بالنَّصِّ القرآني، متذوقاً صورَه، واعياً بضروبه البلاغيّة، عارفاً بتفسيراته، فلا غرابة عندئذ أنْ يقتبسَ منه ويقتطعَ آياتٍ وشواهدَ؛ تعاضد ما يذهبُ إليه من أفكار وقضايا، وتدلل على صحة ما يريد إثباته.
٦. أضفى النَّصّ القرآني نضوجاً دلالياً واضحاً في أشعارِ أبي العتاهية، ونقل دلالاتها إلى انفتاحيةٍ واسعةِ التّطور والنمو، وقد أخرجها من دائرةِ الحدود الضيقة في الشّكلِ والمضمون إلى مجالاتٍ فسيحةٍ وزاخرةٍ، بمتانة السّبك، تتراءى في صياغاته وبنياته الأسلوبيّة، بالإضافةِ إلى دلالاتٍ مشحونةٍ بمعانٍ نفسيةٍ

وروحية، تتجسّدُ بقضايا الإصلاح والأخلاق والأبعاد الإنسانيّة.

٧. تخطّى أبو العتاهية بالتَّناص قضيته الرئيسة- الزُّهد- أحياناً كثيرة إلى توظيفٍ بارعٍ للنّصّ القرآني، وحضورواسع في استلهام نورانياته وخيوطه المتدفقة جمالاً ودلالة، ليكونَ نقطةَ انطلاقٍ وارتكازٍ إلى مبادئه وثوابته في شخصيته الجديدة. ولربما هي رسالةٌ ذكيةٌ من الشَّاعرِ إلى المتلقي في لفت انتباهه؛ لكشف هذا التّحول الإيجابي الذي حاولت ماديات الحياة وموبقات الفعل البشري أنْ تطمسَهُ.

الهوامش:

(١) انظر الدِّراسات الآتية: تودورف، تزفيتان، ٢٠١٦، نظرية الأجناس الأدبيّة؛ دراسات في التَّناص والكتابة والنّقد، ترجمة عبد الرحمن بوعلي، دار نينوى، سوريا، ط١. ألان، جراهام، ٢٠١١، نظرية التَّناص، ترجمة باسل المسالمة، دار التّكوين للتأليف والترجمة والنّشر، دمشق، ط١. البريكي، فاطمة، ٢٠١٥، التّناص في النّقد العربي القديم، دار ابن خلدون للنشر والتّوزيع، عمّان، ط١. السالمي، هادية، ٢٠١٤، التَّناص في القرآن؛ دراسة سيميائية للنّصّ القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١. هدّارة، محمّد مصطفى،١٩٨١، مشكلة السَّرقات في النّقد العربي، المكتب الإسلامي، ط٣، بيروت. حافظ، صبري، ١٩٨٤، التَّناص وإشارات العمل الأدبيّ، مجلّة البلاغة المقارنة ألف، العدد الرَّابع. وقميحة، جابر، ١٩٨٧، التَّراث في شعر أمل دنقل، ط١، هجر للطباعة والنّشر، القاهرة. ورمّاني، إبراهيم، ١٩٨٨، النَّصّ الغائب في الشِّعر العربي الحديث، مجلّة الوحدة العدد: (٤٨). ومجاهد، أحمد، ١٩٨٩، أشكال التَّناص الشِّعري؛ دراسة في توظيف الشَّخصيات التُّراثيّة، ط١، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة. والسَّعدني، مصطفى، ١٩٩١، التّناص الشّعري؛ قراءة أخرى لقضية السّرقات، منشأة المعارف، الإسكندرية. ومرتاض، عبد الملك، ١٩٩١، فكرة السَّرقات الأدبيّة ونظرية التَّناص، مجلّة علامات في النَّقد، النَّادي الثّقافي، جدة، مج١، ج١. وإصطيف، عبد النبي،١٩٩٢، التَّناص، مجلّة رآية مؤتة، جامعة مؤتة، الأردن، مج٢، ع٢. ومفتاح، محمّد،١٩٩٢، تحليل الخطاب الشِّعري؛ إستراتجية التَّناص، ط٣، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، بيروت. والزعبي، أحمد،١٩٩٣، التَّناص نظريًا وتطبيقيًا؛ مقدّمة نظرية مع دراسة تطبيقيّة للتّناص في رواية: (رؤيا) لهاشم غرايبة، مكتبة الكتاني، إربد. وزايد، علي عشري، ١٩٩٧، استدعاء الشَّخصيات التُّراثيّة في الشِّعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة. وداغر، شربل، ١٩٩٧، التَّناص سبيلاً لدراسة النَّصّ الشّعري وغيره، مجلّة فصول، مج٦، ع١. وربابعة، موسى، ٢٠٠٠، التَّناص في نماذج من الشِّعر العربي الحديث، دار حمادة للدراسات الجامعيّة والنَّشر والتَّوزيع، إربد. وجمعة، حسين،٢٠٠٣، المسبار في النَّقد الأدبيّ؛ دراسة في نقد النَّقد للأدب القديم والتَّناص، اتّحاد الكُتَّاب العرب، دمشق. والجبر، خالد، ٢٠٠٤، تحولات التَّناص في شعر محمود درويش، منشورات جامعة البتراء الخاصّة، عمّان. ومراشدة، عبد الباسط، ٢٠٠٦، التَّناص في الشِّعر العربي الحديث؛ السّيّاب ودنقل ودرويش أنموذجًا، دار التَّكوين للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، دمشق. والمراشدة، عبد الرحيم، ٢٠٠٧، التّعالق النَّصّي وفعل النَّصّ، ط١، دار البيروني للنشر والتَّوزيع، عمّان.

(٢) الآفة: الفساد. يطغى: يجور، ومنها الطغيان بمعنى الظلم.

(٣) أضغاث أحلام: ما كانَ منها مختلطاً مضطرباً. طرفي: بصري. طامح: مرفوع. سام: عالٍ. الذّخر: صالح الأعمال.

(٤) المطوي: المستور.

(٥) الجهد: العناء. البلاء: المصيبة. المَخيلة: الكبرياء. طين: تراب. لَقلَّ: اللام للتأكيد. القضاء: مشيئة الله. النعماء: المعروف والإحسان.

(٦) ما: مسهّل ماء. الأحساب: جمع حسب، وهو الشرف الثابت في الآباء.

(٧) نطفة: ماء الرّجل وماء المرأة. جيفة: الجثة المنتنة الفاسدة.

(٨) انظر السّور الآتية: سورة الكهف، الآية رقم: (٣٨). وسورة الحج، الآية رقم: (٥). وسورة فاطر، الآية رقم: (١١). وسورة غافر، الآية رقم: (٦٧). وسورة عبس، الآية رقم: (١٩).

(٩) الثَّواب: حسن الجزاء. الرّغاب: التي ترغب فيها.

(١٠) الأغلال: القيود. المقطعات: توزيع نيران الجحيم على الكافرين. النزل: المنزل.

(١١) وانظر السّور الآتية: سورة البقرة، الآيتان رقم: (٣، ٤٣). وسورة مريم، الآيتان رقم:(٣١، ٥٥). وسورة النساء، الآيتان رقم: (٧٧، ١٦٢). وسورة المائدة، الآيتان رقم: (١٢، ٥٥). وسورة لقمان، الآية رقم: (٤).

المراجع

القرآن الكريم.

أبو شرار، إبتسام موسى (٢٠٠٧). التّناص الدّيني والتّاريخي في شعرِ محمود درويش، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين.

أبو رحمة، خليل صالح (٢٠١٢). لهب المعرفة؛ من قضايا الأدب والفكر في التّراث العربي، إربد: دار الكتاب الثَّقافي.

أبو هيف، عبد الله (٢٠٠٤). قناع المتنبي في الشِّعر العربي الحديث، ط١، بيروت، المؤسسة العربيّة للدِّراسات والنَّشر.

أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم (١٩٦٥). أبو العتاهية؛ أشعاره وأخباره، عُني بتحقيقها شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، دار الملاّح للطباعة والنشر.

أبو هشهش، إبراهيم (١٩٩٨). "المكوّن التّناصّي في الصّورة الشّعريّة عند محمود درويش"، المحرّر جريس سماوي، زيتونة المنفى؛ دراسات في شعرِ محمود درويش، ١٧٠، الحلقة النّقديّة

في مهرجان جرش السَّادس عشر، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر.

إسماعيل، عزّ الدين (١٩٩٤). في الشِّعر العبّاسيّ؛ الرّؤية والفّنّ، القاهرة، المكتبة الأكاديميّة.

أنجينيو، مارك (١٩٨٧). في أصولِ الخطاب النّقدي الجديد، ترجمة أحمد المديني، بغداد، دار الشؤون الثّقافيّة العامة.

البادي، حصّة (٢٠٠٩). التَّناص في الشِّعرِ العربي الحديث؛ تجربة البرغوثي نموذجاً، ط١، عمّان، دار كنوز المعرفة العلميّة للنشر والتّوزيع.

بنيس، محمّد (١٩٩٠). الشِّعر العربي الحديث؛ بنياته وإبدالاتها، ط١، الدار البيضاء، دار توبقال.

الجبر، خالد (٢٠٠٤). تحولات التَّناص في شعرِ محمود درويش؛ ترائي سورة يوسف نموذجاً، جامعة البترا الخاصّة، عمّان، عمادة البحث العلمي.

جدوع، عزة محمّد (١٩٥٣). التّناص مع القرآنِ الكريم في الشِّعرِ العربي المعاصر، مجلّة فكر وإبداع، الكويت، (٩)، ١٣٤.

حسنين، نبيل علي (٢٠٠٩). التّناص؛ دراسة تطبيقيّة في شعرِ شعراء النّقائض، عمّان، طُبع بدعم من وزارة الثّقافة، كنوز المعرفة.

حلبي، أحمد طعمة (٢٠٠٧). أشكال التّناص الشِّعري؛ شعر البياتي أنموذجاً، مجلّة الموقف الأدبيّ، اتّحاد الكُتّاب العرب، دمشق، عدد ٢٣٠، شباط، ١٥.

حمدان، عبد الرحيم (٢٠٠٦). التّناص في مختاراتِ من شعرِ الانتفاضة المباركة، مجلّة جامعة الشّارقة للعلومِ الشّرعيّة والإنسانيّة، مج ٣، ٣، ٨٦.

حياة، معاش (٢٠١٦). التَّناص القرآني في تائيةِ ابن الخلوف القسنطيني؛ دراسة فنّيّة، مجلّة كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد ٦، جامعة محمّد خيضر، جانفي، ٨.

خليف، يوسف (١٩٦٨)، حياة الشِّعر في الكوفةِ إلى نهايةِ القرن الثاني للهجرة، القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنَّشر.

الدّش، محمّد محمود (١٩٦٨). أبو العتاهية حياته وشعره، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنّشر.

رضا، أحمد (١٩٦٠). معجم متن اللّغة، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة.

الرّواجبة، أحمد راضي (٢٠١٢). التّناص القرآني في شعرِ النَّقائض الأُمويّة، مجلّة الفكر الإسلامي الدّوليّة، ماليزيا، مج٢، ديسمبر، ٩٢.

رومية، وهب أحمد (١٩٩٦). شعرنا القديم والنَّقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، آذار، ع ٢٠٧.

سليمان، عبد المنعم (٢٠٠٥). مظاهر التَّناصِّ الدّينيّ في شعرِ أحمد مطر، رسالة ماجستير، جامعة النَّجاح، نابلس.

شرتح، عصام،٢٠١١، جمالية الخطاب الشِّعري عند بدوي الجبل، ط١، دمشق: دار كنعان.

شرف الدين، خليل (١٩٨٧). أبو العتاهية من الرّفضِ إلى القبولِ، الموسوعة الميسّرة، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

شهاب، جمال علي (٢٠١٦). آليات التَّناص في شعرِ سعد الدين شاهين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

الضّمور، عماد (٢٠١٣). تجليات الصّوفية في ديوان: (أروى) للشَّاعر نادر هدى"، ضمن مؤتمر النَّقد الدَّولي الرَّابع عشر: (واقع الدّراسات النّقديّة العربيّة الحديثة)، ص٤٦٩، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة اليرموك، إربد.

العاني، محمّد شهاب (٢٠٠٢). أثر القرآن الكريم من الفتحِ وحتّى سقوط الخلافة، ط١، بغداد: الشؤون الثّقافيّة.

عبشي، نزار محمّد (٢٠٠٥). التَّناصّ في شعرِ سليمان العيسى، رسالة ماجستير، جامعة البعث، حمص، سوريا.

عبيدات، ميساء أحمد (٢٠٠٧). التَّناص في شعرِ مصطفى وهبي التل (عرار)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

عطا، أحمد محمّد (٢٠٠٧). التَّناص القرآنيّ في شعرِ جمال الدّين بن نباتة المصري، المؤتمر الدّولي الرّابع لكلية الألسن، جامعة المنيا، مصر.

عمارة، محمّد (٢٠٠١). الصّوفيّة في الشِّعرِ المغربي المعاصر؛ المفهوم والتَّجليات، ط١، المدارس، المغرب: شركة النَّشر والتَّوزيع.

عيّاش، ثناء (٢٠١٠). التَّناص القرآني في قصيدة المديح النّبوي في شعرِ صفي الدَّين الحلي، المجلّة الأردنيّة للّغة العربيّة وآدابها، عمادة البحث العلمي، جامعة مؤتة، الأردن، العدد ٢، ص٣٢.

الغذامي، عبد الله (١٩٨٥). الخطئية والتَّكفير، ط١، جدَّة: النَّادي الأدبيّ.

غروس، ناتالي بييقي (٢٠١٢). مدخل إلى التَّناص، ترجمة عبد الحميد بورايو، دمشق: دار نينوى للدراسات والنَّشر والتّوزيع.

غريب، جورج (١٩٨٥). أبو العتاهية في زهدياته، ط١، بيروت: دار الثّقافة.

القزويني، الخطيب (٢٠٠٢). تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، قرأه وكتب حواشيه وقدّم له، ياسين الأيوبي، ط١، بيروت: المكتبة العصريّة.

الكفراوي، محمّد عبد العزيز (١٩٧٢). أسطورة الزّهد عند أبي العتاهية، القاهرة: دار نهضة مصر للطبعِ والنَّشر.

مجاهد، أحمد (١٩٩٨). أشكال التّناص الشِّعري، مصر: الهيئة العامّة المصريّة للكُتّاب.

المجدلاوي، هيام يوسف (٢٠١٠). الزُّهد في الشِّعرِ الأندلسي؛ دراسة تحليليّة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة.

المراشدة، عبد الباسط (٢٠٠٦). التَّناص في الشِّعرِ العربيّ الحديث؛ السّيّاب ودنقل ودرويش أنموذجاً، ط١، دمشق: دار ورد للنشرِ والتّوزيع.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (١٩٤٥). مروج الذَّهب، القاهرة: دار الأندلس.

مفتاح، محمّد (١٩٨٧) دينامية النَّصّ؛ تنظير وإنجاز، لبنان: المركز الثّقافي العربي.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)، (١٩٧٨). لسان العرب، القاهرة المصرية: الدّار المصريّة للتأليفِ والتّرجمة.

نظمي، بركة (٢٠٠٤). التّناص الدّيني في الشِّعرِ الفلسطيني، مجلّة فكر وإبداع، القاهرة، العدد ٣٢، ص٧٨.

وهبة، مجدي (١٩٧٤). معجم مصطلحات الأدب، بيروت، مكتبة لبنان.